التراث العالمي

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والفنون ـ دار الجاحظ ـ الجمهورية العراقية

المجلد الثامن ـ العدد الثاني ـ ١٣٩٩ ـ ١٩٧٩

2

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد المدينة

WWW.ATTAWEEL.COM

المورد

المجلد الثامن صيف ١٩٧٩ العدد الثاني

دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م

أهمية كتاب «القطع والائتناف» وأثره

بقلم الدكتور
احمد نصيف الجنابي
كلية الآداب ـ الجامعة المستنصرية

ألّف أبو جعفر النحاس مجموعة كبيرة من الكتب تجاوزت العشرين ، خمسة منها في الدراسات القرآنية ، وهي :

(١) إعراب القرآن .
(٢) كتاب القطع والائتناف .
(٣) رسالة اللامات في القرآن .
(٤) معاني القرآن .
(٥) كتاب الناسخ والمنسوخ .

ومن حسن حظنا انها بقيت جميعها ، وضاع قسم من مؤلفاته الاخرى .

وقد حقق الاول ونال به درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة ، الزميل الدكتور زهير غازي زاهد .

اما الثاني فقد حققه الزميل الدكتور احمد خطاب ونال به درجة الدكتوراه من الجامعة المذكورة .

ونشر رسالة اللامات الاستاذ طه محسن في مجلة المورد(١) .

أما الكتاب الرابع فقد قمت بدراسة مطولة له ، نشرت في مجلة المورد(٢) .

أما الكتاب الخامس فقد نشر في مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٣٢٣هـ ، ولكنه مشحون بالتصحيفات والتحريفات ، فهو اشبه بالمخطوطة(٣) .

منهج البحث

لقد قسمت الموضوع الى مبحثين هما :

المبحث الاول

اهمية كتاب « القطع والائتناف »

اذا كانت اهمية كتاب « اعراب القرآن » تكمن في كونه بسط « نظرية الاحتمالات النحوية » عند النحاس (مع مزايا اخرى اشرت اليها في بحث سابق)(٤) ، فان اهمية كتاب « القطع والائتناف » ، تتجلى في كونه متفردا بمنهج جعله متميزا بين كتب الوقف والابتداء الباقية . وقد

(١) العدد الاول من المجلد الاول ، صفحات : ١٤٣ ـ ١٥٠ .

(٢) المجلد السابع ، ونشرت في العدد الثاني ، الصادر في تموز ١٩٧٨ .
(٣) يراجع الكتاب في مواضع متفرقة .
(٤) نشر في مجلة المورد ، المجلد السادس ، العدد الثاني ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م .

WWW.ATTAWEEL.COM

سبق النحاس بمؤلفات متعددة في هذا الموضوع، اهمها :

- كتاب الوقف والابتداء ؛ « لحمزة بن حبيب »(٥) ؛ احد القراء السبعة (المتوفى ١٥٦هـ) .
- كتاب الوقف والابتداء(٦) ؛ للفراء (المتوفى ٢٠٧هـ) .
- كتاب الوقف والابتداء(٧) ؛ لخلف بن هشام البزار (المتوفى ٢٢٩هـ) .
- كتاب الوقف والابتداء(٨) ؛ لمحمد بن سعدان (المتوفى ٢٣١هـ) .
- كتاب الوقف والابتداء ، لابي عبدالرحمن(٩) عبدالله اليزيدي (المتوفى ٢٣٧هـ) .
- كتاب الوقف والابتداء ؛ لابي عمر الدوري(١٠) : حفص بن عمر (المتوفى ٢٤٠هـ) .
- كتاب القاطع والمبادىء ، لابي حاتم السجستاني (المتوفى ٢٥٥هـ) .
- كتاب الوقف(١١) والابتداء ، لثعلب (المتوفى ٢٩١هـ) .
- كتاب الوقف والابتداء(١٢) ؛ لابي ايوب سليمان بن يحيى الضبي (المتوفى ٢٩١هـ) .
- كتاب الوقف والابتداء(١٣) ؛ لابن كيسان (المتوفى ٣٢٠هـ) .
- كتاب ايضاح الوقف والابتداء(١٤) ؛ لابي بكر محمد بن القاسم الانباري (المتوفى ٣٢٨هـ) .

وتوجد كتب اخرى مذكورة في مصادر مختلفة ، تركت ذكرها لسببين :

الاول : ان قسما منها سيأتي ذكره في ثنايا البحث .

والآخر : ان بعضها ليس له اهمية كبيرة الى جانب هذه الكتب المذكورة . والامور تقاس باشباهها وامثالها .

وجلّ هذه الكتب ـ المذكورة في القائمة السابقة ـ لم يبق منها سوى بقايا من نصوص تناقلتها كتب الوقف والابتداء ؛ الا « ايضاح الوقف والابتداء » . فقد بقي كلّه . ونال اعجاب العلماء وتقديرهم ، فلا غرو ان ينال عناية النحاس . يضاف الى ذلك ان « ابن الانباري » استاذ النحاس ، فكيف يفوته كتاب استاذه ؟!!

ويبدو « تفرّد » منهج النحاس عند مقارنته بمنهج « ابن الانباري » ؛ من حيث « المصطلحات والمصادر » ...

اولا : المصطلحات بين الشمول والقصور

يقوم منهج « ابن الانباري » على ما يأتي :

١ ـ الاشارة الى مواقع الوقف دون الاشارة الى مواضع الابتداء (او الائتناف) ؛ الا من طرف خفي ؛ وبعبارات غير صريحة ، او بعبارات مقتضبة جدا !! كقوله : (الوقف عندي على « تُرْجَعُونَ »(١٥) ، والوقف على « فأحياكم » غير تام ؛ لان قوله : « ثم يميتكم »، نسق عليه ومتصل به، وليس هو مستأنفا ؛ على ما زعم السجستاني»(١٦).

٢ ـ استعمال المصطلحات الآتية :

أ ـ وقف تام(١٧) .
ب ـ وقف حَسَن(١٨) .
ج ـ وقف قبيح(١٩) .
د ـ وقف حسن غير تام(٢٠) ، او حسن ليس بتمام(٢١) . والتعبير الاخير يدخل في مصطلح « الحسن » .

اما النحاس فانه يشير الى مواقع الوقف ؛ ويسميه (القطع) ، والى مواضع الابتداء ، ويسميه (الائتناف) .

---

(٥) الفهرست / ٣٦ .
(٦) الفهرست / ٣٦ .
(٧) الفهرست / ٣٦ (وسماه خلف بن عبدالله) .
(٨) الفهرست / ٣٦ .
(٩) الفهرست / ٣٦ وانباه الرواة ١٣٤/٢ .
(١٠) الفهرست / ٣٦ .
(١١) معجم الادباء ١٥٢/١ وانباه الرواة ١٥١/١ .
(١٢) الفهرست / ٣٦ .
(١٣) معجم الادباء ٢٨١/٦ .
(١٤) الكتاب مطبوع في دمشق سنة ١٣٩١هـ/١٩٧١م ، تحقيق : الدكتور محيي الدين رمضان .
(١٥) من الآية ٢٨ من سورة البقرة ، ونسق الآية : (كيف تكفرون بالله ، وكنتم امواتا فاحياكم ، ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون) .
(١٦) ايضاح الوقف والابتداء ٥١٤/١ .
(١٧) نفسه ٥٢٨/١ ، ٥٢٩ .
(١٨) ايضاح الوقف والابتداء ٥٠١/١ ، ٥٢٨ ، ٥٥٣ .
(١٩) نفسه ٤٨٦/١ ، ٥٢٧ .
(٢٠) نفسه ٥١٧/١ ، ٥٢٩ .
(٢١) ايضاح الوقف والابتداء ٥٢٧/١ .

واما المصطلحات التي يستعملها .. فهي :

- الوقف التام (او التمام) .
- الوقف الحسن .
- الوقف الكافي .
- الوقف الصالح .
- الوقف القبيح .

ومن الامثلة على هذا قول النحاس ـ عند حديثه عن سورة الحجر ـ : (الم ، تلك آيات وقرآن مبين) : « تمام » عند ابي حاتم . (ربّما يَود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) : قطع كاف . (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل) : تمام عند ابي حاتم . وخولف في ذلك لأن بعده تهديدا متصلا بما قبله ، والتمام : (فسوف تعلمون) . ولقد ارسلنا من قبلك في شِيَع الاولين) : قطع صالح ، وكذا : (إلاّ كانوا به يستهزؤون) ... الخ(٢٢) .

ويلاحظ ان اكثر المصطلحات دورانا عند ابن الانباري مصطلح : الوقف الحسن ، واكثرها دورانا عند النحاس ، مصطلح : الوقف التام .

ثانيا : المصادر بين الاستيعاب والنظر بعين واحدة :

يكاد « ابن الانباري » يقتصر في كتابه على اقوال الكوفيين امثال الامام « حمزة » ، والكسائي ، والفراء ، وثعلب(٢٣) ، وكثيرا ما يتقبلها بقبول حسن ، ان لم يدافع عن بعضها .

ولم يورد من كتب الوقف والابتداء البصرية الا اقوالا لابي حاتم السجستاني ، والاخفش سعيد ولكنه يبدو مخالفا لابي حاتم في جل ما نقله عنه(٢٤) ،اما اقوال الاخفش فرد بعضها(٢٥) ، وانتصر لبعضها(٢٦) .

ولو قارنا هذه القضية بما اورده النحاس من آراء ظهر الفرق واضحا .

ويوضح هذه القضية عند النحاس ، مصادره في كتابه « القطع والائتناف » . ونم يتركنا مؤلفه حيارى نتلمس طريقا نبحث عن مصادره ، بل صرح باكثر منابع الكتاب في اوله ـ او في مدخله ـ واذا كان قد احجم عن ذكر بعضها ـ هناك ـ فانه ذكرها في اماكنها منه ما عدا « ايضاح الوقف والابتداء » لابن الانباري . اذ اهمل ذكره ، وان كان قد اعتمد عليه مصدرا . وسنوضح هذه النقطة بعد قليل !!

ومصادره التي ذكرها في المقدمة انما اخذها عن ثلاثة اصناف من العلماء :

(ا) صنف القراء المتخصصين الذين كانت لهم اليد الطولى في ميدان القراءات ، امثال : ابي جعفر احمد بن عبدالله بن محمد بن هلال(٢٧) المقرىء المصري (المتوفى ٣١٠هـ) ؛ وابي العباس احمد بن محمد البراثي (المتوفى ٣٠٢هـ)(٢٨) .

(ب) صنف الفقهاء والمحدثين كابن جميل (المتوفى ٣٠٠هـ) ، الذي روى عنه النحاس عن طريق محمد بن الجهم السمّري ، ما يتصل باقوال الفراء(٢٩) .

(ج) صنف اللغويين والنحاة امثال ابي بكر(٣٠) بن شقير (المتوفى ٣١٧هـ) .

ويلاحظ من يقرأ « باب ذكر الاسانيد في الكتاب » ، ان اكثر الذين ذكرهم النحاس في اسانيد الكتاب هم اساتذة له او شيوخ لم تذكرهم المصادر التي ترجمت له او لاساتذته . وهذا يعني ان كتاب « القطع والائتناف » يكشف عن شيء جديد في حياة النحاس العلمية .

اما العلماء الذين نقل من اقوالهم ، ولم يذكرهم في باب الاسانيد في اول الكتاب ، فهم :

- نصير بن يوسف بن أبي نصر (ت ٢٤٠هـ) .
- ومحمد بن عيسى بن ابراهيم الاصبهاني (ت ٢٥٣هـ) .
- وابن قتيبة : عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) .
- والعباس بن الفضل بن شاذان (ت ٣١٠هـ) .
- ومحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) .

---

(٢٢) القطع والائتناف ، لوحة ١٢٢ : ب .
(٢٣) ايضاح الوقف والابتداء ١/٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٤٤ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ .
(٢٤) ايضاح الوقف والابتداء ١/٤٩٨ (رد رأي ابي حاتم السجستاني وكذلك رده في ١/٥٠٥ ، ٥١٤ ، ٥٢١ .
(٢٥) ايضاح الوقف والابتداء ١/٥٢٠ .
(٢٦) نفسه / ٤٨٥ .
(٢٧) ترجمته في طبقات القراء ١/٧٤ .
(٢٨) ترجمته في طبقات القراء ١/١١٣ .
(٢٩) القطع والائتناف لوحة ٩ : ا .
(٣٠) هو أبو بكر احمد بن شقير اللغوي النحوي المعروف ، ترجمته في تاريخ بغداد ٤/٨٩ ومعجم الادباء ٣/١١ وانباه الرواة ١/٢٤ .

والثلاثة : نصير ومحمد بن عيسى والعباس ابن الفضل ؛ لم يشتهروا كما اشتهر « ابن قتيبة » او الطبري ؛ ولكنهم كانوا من ذوي الشأن الكبير ، في عصرهم .

فنصير كان ذا اهتمام باللغة ؛ وله فيها مؤلفات وصفها « الازهري » (ت ٣٧٠هـ) ؛ بانها « مؤلفات حسان » ؛ ولذلك كانت من مصادر التهذيب(٣١) . ولكن الازهري لم يسمّها ؛ بل سماها « ابن النديم » ؛ فذكر له : كتاب الابل وكتاب خلق الانسان(٣٢) .

وقد اخذ « نصير » اللغة عن ابي زيد والاصمعي وقد اخذ النحو والقراءة عن الكسائي(٣٣) .

ونقل النحاس عن « نصير » ذو جانبين : فهو ينقل عنه ما يتصل بالوقف والابتداء ، اولا ، وينقل عنه تعليلات نحوية تتصل بالموضوع نفسه(٣٤) ، ثانيا .

اما محمد بن عيسى الاصبهاني فهو « امام في القراءات كبير مشهور » .. وله اختياران في القراءة(٣٥) .

اما العباس بن الفضل بن شاذان فهو « استاذ متقن مشهور » ، ومؤلف كتاب القاطع والمبادىء(٣٦) (اي : الوقف والابتداء) .

اما من لم يذكره النحاس البتة ، مع اعتماده على كتابه فهو « ابو بكر محمد بن القاسم الانباري » فقد اهمل ذكره ، واستفاد من كتابه : « ايضاح الوقف والابتداء »(٣٧) !!

* * *

ومصادر النحاس اما مصادر متخصصة في « الوقف والابتداء » ؛ واما مصادر اخرى مساعدة .

---

(٣١) تهذيب اللغة ٢٢/١ .
(٣٢) الفهرست / ٣٥ .
(٣٣) طبقات القراء ٢٤٠/٢ والبغية ٣١٦/٢ (وفيه نصير بن ابي نصر) ، ولعله فعل ذلك اختصارا .
(٣٤) القطع والائتناف ، لوحة : ١٢٩ : ب ، ١٣٠ : ا ، ١٢٩ : ا ، ٢٥٠ : ا ، ٢٥٢ : ا .
(٣٥) طبقات القراء ٢٢٣/٢ ، ٤٠٧ .
(٣٦) نفسه ٣٥٢/٢ .
(٣٧) يقارن القطع لوحة ٢٢ : ب بالايضاح ٥٢٠/١ .

فالمصادر المتخصصة هي :

● **كتب في وقف التمام :**

ا ــ كتاب وقف التمام ؛ لنافع بن ابي نعيم (ت ١٦٩هـ) ؛ وهو اول كتاب في موضوعه .

ب ــ كتاب وقف التمام ؛ ليعقوب الحضرمي (ت ٢٠٥هـ) .

ج ــ كتاب وقف التمام ، للاخفش سعيد بن معدة (ت ٢١٥هـ) .

د ــ كتاب وقف التمام ، لاحمد بن جعفر الدينوري (ت ٢٨٩هـ) .

● **كتب الوقف والابتداء :**

ا ــ كتاب الوقف والابتداء ، للفراء (ت ٢٠٧هـ) .

ب ــ كتاب الوقف والابتداء ، لخلف بن هشام البزار .

ج ــ كتاب القاطع والمبادىء ، لابي حاتم السجستاني . ولم يسمه النحاس ولكن « الاندرابي » (ت ٥٠٠هـ) سماه في كتابه « الايضاح »(٣٨) .

د ــ كتاب القاطع والمبادىء ، للعباس بن الفضل بن شاذان .

اما المصادر المساعدة فهي :

● **كتب القراءات :**

من الشخصيات التي ذكرها النحاس : محمد بن عيسى الاصبهاني ، وابن قتيبة ، والطبري ؛ وليس لاحد منهم كتاب في « الوقف والابتداء » ، ولا في التمام ، بل لهم كتب في القراءات .

فاسم كتاب الاصبهاني : « الجامع في القراءات »(٣٩) ؛ اما كتاب « ابن قتيبة » فاسمه « القراءات »(٤٠) . اما كتاب الامام « الطبري » فاسمه (الجامع في القراءات)(٤١) .

وارجح ــ ولا اجزم ــ ان النحاس اعتمد على هذه الكتب لانها قد تذكر الامور المتعلقة

---

(٣٨) الايضاح في القراءات ، ورقة ١٣٥ : ب .
(٣٩) ينظر طبقات القراء ٢٢٤/٢ وانباه الرواة ١٤٦/٢ .
(٤٠) الفهرست / ٣٥ .
(٤١) طبقات القراء ١٠٧/٢ .

« بالوقف والابتداء » ؛ ومعرفة القراءات ضروري جدا في بعض الحالات لمعرفة « القطع والائتناف ».

ولكننا نلاحظ في استعمال النحاس القراءات امرين :

الاول : ان استعماله القراءات قليل ، فلم يذكرها الا اذا تعلقت بايضاح الوقف والابتداء ، وقد وضح النحاس ذلك بعبارات صريحة(٤٣) .

الآخر : ان القراءة هي « المستوْغ الوحيد » الذي يُجيز فيه النحاس اكثر من وجه ، في الوقف ..

ففي بيان « الوقوف » في الآية الكريمة ٨٢ من سورة النمل : (واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) ، قال : اذا كانت القراءة بكسر ان ، فهي قراءة ابي جعفر وشيبة ونافع وابي عمرو . والقول الآخر ، كما قال يعقوب ؛ وهو مذهب الفراء لانه يذهب الى ان « إنّ » مكسورة على الاستئناف . وقرا الحسن وابن ابي اسحاق وعاصم والاعمش وحمزة والكسائي « أنّ الناس » ـ بفتح همزة انّ ـ فالتمام على هذه القراءة « لا يوقنون »)(٤٢) .

● كتب النحو وآراء النحاة

ان آراء النحاة والمسائل النحوية كانت من الاسس التي سوّغت للنحاس « نظرية الاحتمالات النحوية » في كتبه الثلاثة : « اعراب القرآن ، وشرح القصائد التسع ؛ ومعاني القرآن » .

اما في كتاب « القطع والائتناف » ، فقد اتخذ منها موقفا جديدا .

ذكر النحاس في ثنايا كتابه مجموعة من النحاة مثل الخليل(٤٤) ؛ وسيبويه(٤٥) ؛ والمبرّد(٤٦) ؛ والاخفش الاوسط(٤٧) والاسفر(٤٨) ؛ كما ذكر الرؤاسي(٤٩) والكسائي(٥٠) ، والفراء(٥١) ، وغيرهم .

ولكن الملاحظ ان النحاس لم يتناول قضايا النحو تناولا تفصيليا ، بل اقتصر على الاصول العامة ؛ ولم يمس الجزئيات الا مسّا خفيفا .

ففي حديثه عن « وقف التمام » في « سورة النازعات » ـ لا سيما الآيات : ١ ، ٢ ؛ ٥ .... ٢٦ ـ قال : (من قال جواب القسم : « إنّ في ذلك لعبرة لمن يخشى » قال ههنا التمام . ومن قال : الجواب محذوف لانه قد علم المعنى ؛ قال : « فالمدبرات امرا » ، والتقدير عنده : « لتُبْعَثُنّ ولتحاسَبُنّ » ؛ وهذا مذهب الفراء . ومن قال : فاذا هم بالساهرة ... والنازعات(٥٢) ، فالتمام عنده « بالساهرة » . وهذا قول ذكره ابو حاتم ؛ وهو على بُعْدِه خطأ من جهتين : احداهما انه يبتدىء بالفاء ؛ وهذا لا يجوز عند احد من النحويين . والاخرى ان اول السورة واو القسم ، وسبيل القسم في النحو اذا ابتدىء به الا يلغى ، وان يكون له جواب . وهذا اصل من اصول النحو)(٥٣) .

وهذا المنهج يخالف تماما ما سار عليه في كتبه الثلاثة المذكورة من قبل .

فقضية « العطف على الضمير المخفوض بالاسم الصريح » ، قد فصّل فيها القول في « اعراب القرآن » فاستغرقت ما يقرب من (٣٤ سطرا)(٥٤) ، وذكر فيها راي البصريين والكوفيين ، وخص بالذكر سيبويه والمازني(٥٥) ، ولكنه اشار الى هذه القضية اشارة خفيفة في « القطع والائتناف » ، ولم يشر الى اسم احد من النحويين ، بل قال : « وقد اجاز العطف على الضمير جماعة من النحويين »(٥٦) !!

فلماذا اهمل ذكر التفاصيل النحوية في

---

(٤٢) القطع والائتناف ، لوحة ٢٤٣ : ب ـ قال النحاس ـ وهو يتحدث عن مواضع القطع في « سورة الجن » ـ : (وانما ذكرنا كل ما بلغنا من القراءات في هذه السورة لان من اراد ان يعرف القطع والائتناف فيها احتاج الى معرفة القراءات فيها) .

(٤٣) القطع والائتناف ، لوحة ١٦٧ : أ ـ ب (ويراد بالحسن: الحسن البصري الامام الجليل ، المتوفى ١١٠هـ) .

(٤٤) القطع والائتناف ، لوحة : ٢٤٤ : ا .

(٤٥) القطع والائتناف ، لوحة : ١٢٥ : ب .

(٤٦) نفسه ، لوحة : ٢٤٧ : ب .

(٤٧) القطع والائتناف ، لوحة ١٨ : ا ، ولوحة ٤٤ : ب .

(٤٨) القطع والائتناف ، لوحة ١٧٠ : ب .

(٤٩) القطع والائتناف ، لوحة ٢١٨ : أ ، ٢٥١ : ب ، ٢٥٢ : ا .

(٥٠) نفسه ، والمواضع نفسها .

(٥١) نفسه ، لوحة ١٦٧ : أ .

(٥٢) أي : على التقديم والتاخير .

(٥٣) القطع والائتناف ، لوحة ٢٤٨ : ب .

(٥٤) اعني من سطور كتابتنا وليس من سطور المخطوط .

(٥٥) اعراب القرآن ، لوحة ٤٤ : ا .

(٥٦) القطع والائتناف ، لوحة ١٢٤ : ا .

كتابه « القطع والائتناف » ، دون بقية كتبه النحوية ؟

تعليل ذلك انه استخدم قوانين النحو واصوله لتفسير ظاهرة « الوقف والابتداء » ؛ تفسيرا نحويا . وكتابه ليس في قواعد النحو ومسائله التفصيلية ؛ لكنه كتاب يعلل تلك الظاهرة تعليلا نحويا .

والفرق واضح بين استخدام القواعد والحديث عنها .

ففي الحالة الاولى تكون القواعد وسيلة للتفسير ؛ وفي الحالة الاخرى تكون القواعد غاية مقصودة ...

والنحاس استعمل الاصول النحوية فاكثر منها ؛ غير انه اهمل الجزئيات والفروع .

اما « ابن الانباري » فمنهجه قائم على التقليل من التعليلات ؛ ويغلب عليه « المنهج الوصفي » المقتضب .

والنحاس مولع بالتعليلات ، ولم يتركها الا في سُوَرٍ قليلة ، وفي مواضع قليلة من السور التي اكثر فيها من التعليلات .

وقد كان واضحا كل الوضوح حين قال في صدر « سورة الانعام » : (قد ذكرنا ما تقدم من السور على تقصٍّ وشرح ؛ فكان في ذلك دليل على كثير مما يرد من التقطع التام والحسن والكافي والصالح ؛ فقس على ذلك ، فاني لو اتيت بذلك الى آخر الكتاب على تقصٍّ طال ؛ فرايت الا اذكر الواضح المفهوم المعنى ، واذكر المُشكل ، وما لا يُفهم الا بفكر ونظر ، ولا يعرف الا بعلم بالتأويل ورواية التفسير)[٥٧] .

فالتعليل والاستقصاء والمعيارية النحوية ؛ شرحت على تقصٍّ في اول الكتاب .

اما السور القصيرة فقد قلّ فيها التعليل ، والمعيارية النحوية ؛ لأن المؤلف قدم ما يشبه تلك الحالات ، وبينها بوضوح تام .

والخلاصة

ان كتاب النحاس يتميز بثلاثة امور وبها يختلف عن كتاب ابن الانباري .

١ ــ ان منهج النحاس اشار الى اكثر مواضع « الوقف والابتداء » في القرآن ؛ واستعمل مصطلحات اكثر احاطة بتلك المواضع .

اما « ابن الانباري » فلم يستعمل تلك المصطلحات كلها ولم يشر الى جل مواضع الوقف والابتداء .

٢ ــ استوعب النحاس معظم المؤلفات في موضوع كتابه . واشار الى الآراء المختلفة المتصلة بمادته دون تمييز ؛ الا من ناحية الصواب والخطأ .

اما ابن الانباري فقد اقتصر على آراء جماعة من الكوفيين ؛ ولم يشر الى البصريين الا قليلا ؛ مع الرد على اكثر هذه الآراء البصرية ، فكأنه أوردها ليرد عليها .

٣ ــ يتميز منهج النحاس بالتعليل والتفسير المدعمين بالمعيارية النحوية .

اما ابن الانباري فيغلب على منهجه الوصفية المقتضبة التي تجعل القارىء ليتساءل احيانا : لماذا كان هذا الوقف حسنا او قبيحا ؟ لكنه لا يجد تعليلا .

وهذه الخصائص الثلاث التي تميز كتاب النحاس جعلت كتاب « القطع والائتناف » مصدرا لجمهور المؤلفين في هذا الموضوع ، ولم يتجاوزه الا قليل منهم ؛ مما جعله ذا تأثير في المؤلفات المماثلة على مر العصور ...

وهذا شأن كل عمل اصيل .

المبحث الثاني

اثر « القطع والائتناف » في الدراسات القرآنية

يتجلّى

اثر كتاب « القطع والائتناف » واضحا في الدراسات القرآنية الآتية :

● كتاب « المكتفى في الوقف والابتداء » لابي عمرو عثمان بن سعيد الداني (المتوفى ٤٤٤هـ) .

● رسالة « الوقف على كلا وبلى في القرآن الكريم » ؛ لمكي بن ابي طالب (المتوفى ٤٣٧هـ) .

● تفسير ابي المظفر السمعاني (المتوفى ٤٨٩هـ) .

● كتاب « علم الاهتداء في الوقف والابتداء » ؛ لابن الامام (المتوفى ٧٤٥هـ) .

(٥٧) القطع والائتناف ، لوحة ٧٩ : ب .

(أ)

أثر « القطع » في « المكتفى »

ابو عمرو الداني مقرىء من اهل الاندلس وعالم بالفقه والتفسير لا يشق له غبار ؛ اجمع العلماء على توثيقه الا ما صدر عن خصومه ولا عبرة باحكام الخصوم .

وقد وصفه « ابن بشكوال » بقوله : (كان احد الائمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه واعرابه ، وجمع في ذلك تآليف حسانا يطول تعدادها(٥٨) .

وقال عنه الامام الذهبي : (الى ابي عمرو المنتهى في اتقان القراءات ؛ والقراء خاضعون لتصانيفه واثقون بنقله في القراءات والرسم والتجويد والوقف والابتداء ، وغير ذلك)(٥٩) .

اما امام القراءات في عصره « ابن الجزري » فقال في وصفه : (الامام العلامة الحافظ ، استاذ الاستاذين ، وشيخ مشايخ المقرئين . سمع الحديث وبرز فيه وفي اسماء رجاله ، وفي القراءات علما وعملا وفي الفقه والتفسير وسائر انواع العلوم)(٦٠) .

هذا غيض من فيض مما قاله الائمة العلماء في حق ابي عمرو الداني : « وقدر الشهادة قدر الشهود » .

فاذا كان هذا مقامه في العلم ؛ فما بالك به حين يعتمد على كتاب « النحاس » : (القطع والائتناف)، ليؤلف مثله ، وينسج نسيجه ، فيخرج لنا كتابه : « المكتفى في الوقف والابتدا » ؟ اليس ذلك دليلا كافيا على مقدار ما ناله كتاب النحاس من اهمية وشهرة في ميدان الدراسات القرآنية ؟

وان اثر كتاب « القطع » في كتاب « المكتفى »(٦١) ؛ يتضح فيما يأتي :

(١) ان جميع اسماء الاعلام الواردة في كتاب الداني ، قد وردت ـ من قبل ـ في كتاب النحاس .

(٢) وان المصطلحات التي نقلها « الداني » هي مصطلحات النحاس ؛ وليس فيها من زيادة سوى التفريعات ، والجزئيات .

(٣) وان جلّ التمثيلات الواردة في كتاب « المكتفى » قد وردت في كتاب « القطع والائتناف » .

وقد حقق الزميل « جايد زيدان مخلف » ، كتاب « المكتفى » ؛ ونال به درجة الماجستير من جامعة الازهر الشريف .

وقد اطلعت على الكتاب ـ بعد تحقيقه ـ فوجدته قد اشار الى تاثر « الداني » بالنحاس ، واعتمد على الدراسة التي قام بها الزميل الدكتور احمد خطاب لكتاب « القطع والائتناف » ، مصرحا بذلك ...

ولهذا تركت الحديث عن هذه النقطة لأن الدكتور احمد خطاب قد سبقني اليها ، و « هو بسبق حائز تفضيلا » .

(٢)

اثره في رسالة « الوقف على كلا وبلى في القرآن »

« الوقف على كلا وبلى في القرآن الكريم » ؛ رسالة صغيرة للامام مكي بن ابي طالب ، معاصر الداني . وتقع في (٢٨) صفحة مع التقطيع المتوسط(٦٢) .

ويبدو اثر كتاب « القطع » في هذه الرسالة من ناحيتين :

ا ـ ناحية المنهج العام .

ب ـ ناحية التفاصيل .

(ا) اما من ناحية المنهج العام فان اثر كتاب النحاس يبدو في :

(١) التخطيط العام

اما من حيث التخطيط العام فان النحاس قسم الوقف على « كلا » ؛ من حيث الجواز وعدمه ، خمسة اقسام ، فقال : (فاما الوقف ـ اي : على كلا ـ ففيه خمسة اقوال فمن

(٥٨) معرفة القراء الكبار ٣٢٧/١ .
(٥٩) تذكرة الحفاظ ١١٢١/٣ .
(٦٠) طبقات القراء ٥٠٣/١ ، ٥٠٤ .
(٦١) ينظر « المكتفى في الوقف والابتدا » ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة ، رقم ٩١ قراءات .
(٦٢) الرسالة منشورة في مجلة كلية الشريعة ، ببغداد ، العدد الثالث ، سنة ١٩٦٧ ، صفحات : ٦٧ ـ ١٢٣ ، والنص من ١٠١ ـ ١٢٩ ، والصفحات الباقية للدراسة والتعليقات ، والهوامش ، وهي بتحقيق الدكتور حسين نصار .

النحويين من يقول : لا يوقف على كلا في شيء في جميع القرآن لانها جواب ، والفائدة تقع فيما بعدها . وهذا قول ابي العباس أحمد بن يحيى(٦٣) . ومنهم من يقول : يوقف على كلا في جميع القرآن . ومنهم من قال : يوقف على ما قبل « كلا » اذا كانت راس آية . وهذا قول « نُصير » . ومنهم من يقول : يوقف على ما قبلها بكل حال . والقول الخامس : ان « كلا » تنقسم قسمين : احدهما : ان تكون ردعا وزجرا ، وهذا قول « الخليل » . وابو حاتم يقول : انها بمعنى « الا » ، فاذا كانت كذلك كانت مبتداة كقول الله جل وعز : « كلاَّ والقمر »(٦٤) ، وكذا : « كلاَّ سوف تعلمون »(٦٥) . الاخر : أن تكون ردعا وزجرا وردا لكلام تقدم ؛ فيكون الوقف عليها حسنا ؛ كقول الله جل وعز : « أم اتخذ عند الرحمن عهدا ؟ كلا »(٦٦) . قال ابو حاتم : اي لم يطلع الغيب ، ولم يتخذ عند الرحمن عهدا)(٦٧) .

ثم رجح النحاس هذا القول فقال : (وهذا من احسن الاقوال ، وهو قول الخليل ، ثم اتبعه على ذلك الاخفش ، ثم اتبعه على ذلك ابو حاتم . وهذا قول الفراء)(٦٨) .

اما « مكي » فقد ذكر في الباب الاول من الرسالة هذه الاقسام ، فقال : (اختلف النحويون في الوقف على « كلا » والابتداء بها : فذهب طائفة الى انها افتتاح فلا يوقف عليها ولا يبتدأ بها . وهو مذهب ابي العباس ثعلب وغيره ؛ قالوا : لانها جواب ، والفائدة فيما بعدها . وذهب قوم الى انها يوقف عليها اذا كانت راس آية خاصة ؛ وهو مذهب « نُصير المقرىء » . وذهب طائفة الى انها يوقف عليها في كل موضع . فاذا كان قبلها ما يُردّ ويُنكر كان معناها : ليس كذلك ، نحو : ام اتخذ(٦٩) عند الرحمن عهدا . كلا ... واذا كان قبلها ما لا يُردّ ولا ينكر كان معناها : « حقا » نحو : « تظن أن يفعل بها فاقرة ، كلا »(٧٠) ، اي : حقا ما ذكر . وذهبت طائفة الى تفصيلها ؛ فيوقف عليها اذا كان ما قبلها يُردّ ويُنكر ، ويُبتدا بها اذا كان ما قبلها لا يُردّ ولا يُنكر ، وتوصل بما قبلها وما كان بعدها اذا لم يكن قبلها كلام تام ، نحو : « ثم كلا سوف تعلمون »)(٧١) .

ثم رجح « مكي » الراي الاخير فقال : (وهذا المذهب اليق بمذاهب القراء ، وحذاق اهل النظر ، وهو الاختيار وبه آخذ)(٧٢) .

فمكي لم يفعل سوى ان جاء بأقوال النحاس الخمسة ؛ وحافظ على ايراد قسم من اسماء الاعلام فيها ، ورجح ما رجحه النحاس من تلك الاراء !!

(٢) احصاء الاقوال وتفصيلها

اما اثر النحاس من هذه الناحية فيبدو في الاحصائيات التي تناولها لمواضع من وقف التمام .

ان « مكياً » يحصي عدد « الاتمة »(٧٣) في كل سورة ويعددها ، ويذكر اقوال جماعة من العلماء المؤلفين في الموضوع(٧٤) .

وهذا منهج النحاس قبله . ففي الحديث عن الاتمة في سورة الفاتحة : اُمّ القرآن ، قال : (في اَمّ القرآن خمسة اتمة ...) ، ثم اخذ يعددها(٧٥) ... وفي حديثه عن الاتمة في سورة الحجر ، قال : (اكثر من عمل كتابا في التمام يقلل التمام في هذه السورة ؛ فلم يذكر « نافع » منها الا خمسة مواضع ، ولم يذكر احمد بن جعفر فيها الا موضعا واحدا ...) الخ(٧٦) .

أليس هذا دليلا على تأثر « مكي » بمنهج النحاس ؟

(٣) استعمال المصطلحات

اما من حيث المصطلحات فان جميع مصطلحات الوقف والابتداء الواردة عند « مكي »

---

(٦٣) هو : « ثعلب » النحوي الكوفي المتوفى ٢٩١هـ وهو من اقران المبرد البصري !! وان كان لا يجاريه .
(٦٤) سورة المدثر ، الآية : ٣٢ .
(٦٥) سورة التكاثر ، الآية : ٤ .
(٦٦) يشير الى الآيتين : ٧٨ ـ ٧٩ من سورة مريم : (اطلع الغيب ، ام اتخذ عند الرحمن عهدا . كلا ...) .
(٦٧ ـ ٦٨) القطع والائتناف ، لوحة : ١٢٩ : ا .
(٦٩) ورد الفعل (اتخذ) مسندا الى واو الجماعة ، في كتاب النحاس ونقله منه مكي . والصحيح ما اثبتناه ، وهذا دليل على ان مكيا تابع النحاس حتى في هذا !!
(٧٠) سورة القيامة ، الآيتان : ٢٥ ـ ٢٦ .
(٧١) سورة التكاثر ، الآية : ٤ .
(٧٢) رسالة الوقف على كلا وبلى / ١٠١ ـ ١٠٢ .
(٧٣) الاتمة ، جمع تمام ، اي : وقف التمام .
(٧٤) الوقف على كلا وبلى / ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .
(٧٥) القطع والائتناف ، لوحة : ١١ : ب .
(٧٦) نفسه ، لوحة ١٢٢ : ا .

من وقف التمـــام(٧٧) ، والوقف الحسن(٧٨) ، والجائز(٧٩) ، وغير الحسن(٨٠) ، هي مصطلحات النحاس .

اما الوقف الجيد الذي ذكره « مكي » قليلا فقد ذكره النحاس استطرادا(٨١) .

(ب) اما اثر كتاب النحـــاس في رسالـــة « مكي » من حيث التفاصيل فيتجلى في المظهرين الآتيين :

(١) الاراء المنسوبـــة الى المؤلفـــين في الوقف والابتداء .

(٢) التعليلات .

اما من حيث الآراء المذكـــورة في رسالـــة « مكي » المنسوبة الى العلماء المؤلفين في الوقف والابتـــداء ، فان جميـــع الاسماء التي ذكرها « مكي » هي من مصادر النحاس الكثيرة فقـــد ذكر مكي من الاعلام المؤلفين في الوقف والابتـداء الاسماء الآتية :

نافعـا (ت ١٦٩هـ) والاخفش سعيـــد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ) ، ونصير بن يوسف الرازي البغـــدادي (ت ٢٤٠هـ) ومحمد بن عيسى (ت ٢٥٣هـ) وابا حاتـــم السجســتاني (٢٥٥ هـ) واحمد بن جعفر الدينوري (ت ٢٨٩هـ) واحمد بن موسى (القـــرن الثالث) ، والامـــام الطبري (ت ٣١٠هـ) ...

وهذه الاسماء كلهـا جاءت في « القطـــع والائتناف » للنحاس .

وهناك قرينة واضحـــة جدا في رسالـــة « مكي » تؤكد انه اعتمد على كتاب النحاس في نقل هذه الاسماء وهذه القرينة هي : ان المواضع التي اشار فيها النحاس الى « نافع » صاحب كتاب وقف التمام(٨٢) ، موجودة كلها في رسالة « مكي » في المواضع نفسها اعني مواضع السور . والمواضع التي تركها النحاس فلم يشر فيها الى « نافـع » تابعه فيها « مكي » فلم يذكرها . والسور التي لم يشر فيها النحاس الى « نافع » هي : الدخان والرحمن ـ والانسان . وهي المواضع التي لم يشر فيها « مكي » الى « نافع » .

(٢) اما من حيث التعليلات فان تعليلات « مكي » هي تعليلات النحـــاس ، مع زيادات اضافهـــا مكي ، لا سيما في المواضـــع التي ترك النحاس فيها التعليل او اوجزه .

ونضرب لما قلناه مثالين يوضحان ما أوجزناه في النقطتين السابقتين .

والمثال الاول قول « مكي » وهو يتحـدث عن الوقف على « كلا » : (ومن ذلك موضعـان في « الفجر » : الاول قوله تعالى : « فيقول ربي اهانن . كلا » . الوقف على كلا حسن تجعلهـــا ردا لما قال الانسان ، اذ قد ادعى ان تضييق الله عليه في رزقه اهانة له من الله . فالمعنى ليس الامر على ما قال الانسان . لم يهنه بتضييق الرزق ، ولا اكرمه بسعة الرزق ، ولكن يجب ان يحمـد الله على الغنى والفقر . ومذهب الاخفش واحمد بن موسى ان يبدا بكلا على معنى حقا او على معنى : الا بل لا يكرمون . والثاني قولـــه تعـــالى : « وتحبون المال حبا جما . كلا اذا دكت الارض دكا » . الوقف على كلا لا يحسن لانك كنت تنفي ما اخبر الله بـــه من كثرة حب المال ، وذلك لا يجوز نفيه . واجاز « نصير » الوقف على « كلا »، والمعنى لا يغنى عنكم جمع المال وتوفيره)(٨٣) .

وهـــذا النص مستوحى من نص النحاس الآتي مع تغيير بسيط : قال النحاس في الموضـــع السابق من السورة السابقة : (التمام(٨٤) عنـد الاخفش واحمد بن موسى « فيقول ربي اهانن ». فاما ابو حاتم فاجاز الوقف على اهانن وعلى كلا . واما « نصير » فالوقف عنده على « اهانن . كلا »، وهو مذهب الفراء واختلفا في المعنى فقول نصـــير ان معنى كلا(٨٥) : لم اهنه . وقـــول الفـــراء ان معنى « كلا » : لم يكن ينبغي له ان يقول هذا ، ولكن يحمد الله عز وجل على الامرين جميعـــا : على الغنى والفقر . قال ابو جعفر(٨٦) : والقولان حســنان الا ان قول « نصير » اشبه بقول اهـــل

---

(٧٧) رسالة الوقف على كلا وبلى / ١٢٥ ، ١٣٦ .
(٧٨) المرجع نفسه / ١٢٥ ، ١٢٧ .
(٧٩) المرجع نفسه / ١٢٢ ، ١٢٦ .
(٨٠) المرجع نفسه / ١٢٦ .
(٨١) القطع والائتناف لوحة ٢٥١ : ب .
(٨٢) المرجع نفسه لوحة ٢ : ب .
(٨٣) الوقف على كلا وبلى / ١١٢ .
(٨٤) اي : وقف التمام .
(٨٥) في الاصل « ان كلا لم اهنه » وما اثبتناه هو الصحيـــح اذ لا يقوم المعنى والسياق بدونه ، وما بعده يؤيد مـا اثبتناه .
(٨٦) ابو جعفر : اي : النحاس .

التاويل لان قول « ألحسن »(٨٧) : ان معنى كلا : ليس يُهان احدٌ تفقـــر ولا يكرم لغنى . وقال « قتادة »(٨٨) : لا يهان احد لفقر ولا يكرم لغنى وانما يكرم بطاعة الله ويهان بمعصيته . « وتحبّون المال حبا جما » . هـــذا الوقف عند ابي حاتم والوقف عند نصير حبـــا جما . كلا . والمعنى عنده : لا يغنى عنكم جمع المال)(٨٩) .

والمثال الثاني هو قول « مكي » ــ وهـــو يتحدث ــ عن الوقف على كلا في الآية الكريمـــة : « الم يعلم بأن الله يرى . كلا » من سورة العلق .

قال مكي : (الوقف على « كلا » لا يحسن لانك كنت تنفي رؤية الله لاعمال عباده . وذلك كُفْرٌ . وقد أجاز الطبري والقتبي الوقف عليها، جعلاها نفيا للعلم عن الكافر كانه قال : ألم يعلم بأن الله يرى . كلا . اي : لم يعلم ابو جهـــل بذلك)(٩٠) .

ونص « مكي » مستوحى من نص النحاس ؛ حيث قال الاخير في الموضع السابق من السورة المذكورة : (« ألم يعلم بأن الله يرى » ، تمام عند ابي حاتم والتمام عند (القيتبي)(٩١) ؛ ومحمد بن جرير : ألم يعلم بأن الله يرى . كلا . والمعنى : ألم يعلم بأن الله يرى ؟ لا نهيا لابي جهل)(٩٢) .

والخلاصة

أن مكيا تأثر بكتاب « القطع والائتناف » ؛ في رسالته : « الوقف على كلا وبلى » ؛ غير انـــه لم يشر الى النحاس صراحة الا مرة واحـــدة

(٨٧) الحسن : اي : الحسن البصـــري التابعي المشهـــور ت ١١٠هـ .
(٨٨) قتادة : هو قتادة بن دعامة السدوسي التابعي ت ١١٧هـ (وفيات الاعيان ٢٤٨/٣) .
(٨٩) القطع والائتناف لوحة ٢٥٢ أ .
(٩٠) الوقف على كلا وبلى / ١١٢ .
(٩١) القتيبي : اي : ابن قتيبة الدينوري المشهور . وهكذا وردت نسبته عند النحاس وفي البغية ٩٣/٢ وطبقـــات المفسرين ، للداودي ٢٤٥/١ (والاخير ينقل عن شيخـــه السيوطي بلا نقاش !!.
وقد ضبطه السمعاني « بضم القاف وفتح التاء وكسر الباء ، وبعدها ياء النسب . وكذا جاء عند ابن الجزري (انظر الانساب ٤٤٣ : ب وطبقات القراء ١٨٥/٢) ، وهذا هو الصواب لان النسبة الى فعيلة : فعلى ، مثل جهينة جهني . وما دامت نسبته الى قتيبة ، فالقياس فيها : قتبي .
(٩٢) القطع والائتناف ، لوحة : ٢٥٣ : أ .
(٩٣) الوقف على كلا وبلى / ١٠٨ .

ارتضى فيها رايه . اما في غير هذا الموضع فلـم يشر اليه .

والذي اطمئن اليـــه ان رسالـــة « مكي » ملخصـــة من كتاب النحاس هذا ؛ وليس فيهـــا سوى اضافات جزئية ؛ لا تغير من هذه الحقيقـــة شيئا !!

(٣)

اثره في تفسير « ابي المظفر السمعاني »

ابو المظفر السمعاني هـــو منصـــور بـــن عبدالجبار (٤٢٠ ــ ٤٨٩هـ) ؛ جد السمعاني(٩٤)، صاحب الانســاب (المتوفى ٥٦٢هـ) .

ولابي المظفر تفسير كبير للقرآن ؛ منه نسخة بدار الكتب ؛ برقم ١٣٦ تفسير .

وقد ظهر لي بعد قراءة في هذا التفسير انه متأثر بكتب النحاس : القطع والائتناف ؛ واعراب القرآن ؛ ومعاني القرآن .

وساقتصر على بيان تأثره بالقطع .

استفاد ابو المظفـــر من كتاب « القطـــع والائتناف » ولكن بصورة اقل من فائدتـــه من كتابي النحاس الآخرين .

ولعل من أوضح الامثلة على تأثره بكتـــاب النحاس ؛ اخذ ما دار حول الاشكال الواقـــع في تفسير الآية السابعة من ســـورة آل عمـــران : « وما يعلم تأويله إلا الله والراســـخون في العـــلم يقولون آمنّا به كلٌ من عند ربنا » .

والاشكال هو : ما معنى الواو في قولـــه تعالى : « والراسخون » اتفيـــد العطف فيكون الراسخون في العلم ممن يعلم تأويله ، أم تفيـــد الاستئناف ؛ ويكون الوقف تاما عند قوله تعالى : « الا الله » ، فلا يدخل الراسخون فيمن يعـــلم تأويله ؟

وقد افاد النحاس من كل العلماء المتقدمين الذين وقفوا عند هذه الآية . فشرحها بما يشفي ويكفي : فقال : « وما يعلم تأويله الا اللـــه » : مختلف فيه ، فمن العلماء من قال : هذا التمام . فممن روينا عنه أنه قال : « وما يعلم تأويله الا الله » ، تمام ، وما بعـــده منقطع منـــه : نيف

(٩٤) ترجمة ابي المظفر السمعاني في كتاب « الانساب » ٣٠٧ : ب وطبقات المفسرين ٢٣٩/٢ .

وعشرون رجلا من الصحابة والتابعين والقراء والفقهاء واهل اللغة . فمن الصحابة ثلاثة : عائشة رضى الله عنها ، وابن عباس ، وابن مسعود . وممن قال بهذا من التابعين ثلاثة الحسن وابن نهيك ، والضحاك . وقال بهذا من الفقهاء : مالك بن انس . وقال بهذا ثلاثة من القراء : نافع ويعقوب والكسائي . وقال به من النحويين : الاخفش سعيد والفراء وسهل بن محمد(٩٥) ، وهو يروى عن عمر بن عبدالعزيز ، وعروة بن الزبير ، وبه قال ابو عبيد(٩٦) ، وكان محمد بن جرير(٩٧) يذهب اليه . وممن قال به : ابو اسحاق(٩٨) وابو الحسن بن كيسان واحمد بن جعفر الدينوري ، وكذا رُوي عن السُدّيّ . ومذاهبهم في ذلك متقاربة . قال السدّي : « وما يعلم تأويله الا الله : المنسوخ . وقال ابو اسحاق : وما يعلم تأويله » يعني البعث . قال النحاس : (انما يقع الاشكال في هذا ان من الناس من يتوهم ان معنى : « وما يعلم تأويله » ، انه القرآن . ويجعل التأويل بمعنى التفسير . وقد وقع هذا « للقتيبي » ورايت علي بن سليمان(٩٩) ايضا كذلك) .

وعقب النحاس على هذا الراي بقوله : (وليس كذا تأويل العلماء وانما قولهم : وما يعلم تأويل متشابهه الا الله ، فمنهم من جعل المتشابه : المنسوخ ، ولم يكن احد يعلم ما ينسخ من القرآن الا الله ، جل وعز ، عن قيام الساعة . وقال جل وعز : «يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع»(١٠٠) ... الآية . فلولا ان الرسول صلى الله عليه وسلم عرّفهم انه طلوع الشمس من مغربها لما علمه احد ممن خوطب به . فهذا مما لا يعلمه الا الله ـ جل وعز ـ وليست للناس حاجة الى علمه) .

وقالت طائفة من العلماء : والراسخون في العلم يعلمون تأويله ، وجعلوا التأويل بمعنى التفسير للقرآن .

فممن ثبت عنه هذا القول : مجاهد ، ومحمد بن جعفر بن الزبير ، والربيع بن انس ، وهو قول (القتيبيّ) ، وعلي بن سليمان .

فقال النحاس : (« فالقطع على قولهم ـ ان شئت ـ والراسخون في العلم ، على ان يجعل « يقولون » مستانفا ، وان شئت كان القطع « آمنّا به » والقطع بعده : « وما يذكر الا اولو الالباب »)(١٠١) .

أما ابو المظفر السمعاني ، فانه اخذ معظم التفاصيل ، من كتاب « القطع والائتناف » ، واختار رايا اورده النحاس ايضا .

قال ابو المظفر : (اعلم ان اُبيّ بن كعب وعائشة وابن عباس ـ في رواية طاووس ـ يقولون: ان الوقف على قوله : « الا الله » ، وهو قول الحسن واكثر التابعين ، وبه قال الكسائي والفراء والاخفش وابو عبيد وابو حاتم ، وقالوا : ان الواو في قوله : « والراسخون » : واو الابتداء . والدليل على صحته قراءة « ابن عباس » : « وما يعلم تاويله الا الله ، ويقول الراسخون في العلم : آمنا به » . والصحيح رواية « طاووس » عن « ابن عباس » ، وعليه اجماع القراء . قالت النحاة : وانما يستقيم ان يقول : « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم قائلين : آمنا به كل من عند ربنا » ، ولو علموا التاويل لم يكن لقولهم هذا معنى ، فدل على ان الوقف على قوله : « الا الله » ، والواو واو الابتداء في قوله تعالى : « والراسخون في العلم يقولون : آمنا به كلٌ من عند ربنا » ، قالوا : ومن رسوخهم في العلم يقولون ذلك)(١٠٢) .

أليست هذه التفاصيل دلالة واضحة على ان ابا المظفر السمعاني قد استفاد من كتاب النحاس « القطع والائتناف » ؟

(٤)

أثره في كتاب « علم الاهتداء »

ومن الكتب التي اعتمدت على كتاب « القطع والائتناف » ، « علم الاهتداء في الوقف والابتداء »(١٠٣) ، لأبي عبدالله : محمد بن

(٩٥) هو ابو حاتم السجستاني .
(٩٦) هو القاسم بن سلام .
(٩٧) هو الامام الطبري ، والراى في تفسيره ٣/١٨٢ .
(٩٨) هو ابراهيم بن السري المعروف بالزجاج ، استاذ النحاس .
(٩٩) هو الاخفش الصغير المتوفى ٣١٥هـ .
(١٠٠) سورة الانعام ، الاية : ١٥٨ .

(١٠١) هذه التفاصيل في كتاب : القطع والائتناف ، لوحة ٧ : ١ .
(١٠٢) تفسير ابي المظفر م ١ : ورقة ٧٤ : ب .
(١٠٣) مخطوط الخزانة الملكية بالمغرب برقم ١٥٥ .

محمد بن علي بن همام المصري الشافعي المعروف بابن الامام (٦٨٢ ــ ٧٤٥ هـ) .

وهو مقرىء علامة محقق(١٠٤) .

وكتابه « علم الاهتداء » ، مختصر في موضوعه ، ولكنه اختصار العارف بفنه ، المطلع على ما يتصل بهذا الفن ، من اصول وفروع .

وقد طالعه ابو حيان النحوي : محمد بن يوسف (٦٥٤ ــ ٧٤٥هـ) بتكليف من الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فلما انتهى منه بعد تدقيق وتمحيص ، كتب عليه : (طالعت هذا الكتاب على وجه الانتقاد لا على نية حسن الظن والاعتقاد ؛ فوجدته احسن ما صنف في هذا الباب ، واحرى التصانيف فيه الى الصواب)(١٠٥) .

هذا كلام رجل خبير بالقراءات ، وعالم بفنون شتى ؛ ومن ذا الذي لا يعرف ابا حيان النحوي من دارسي العربية ؟ والتعريف به هنا نون من الوان الانكار تشهرته ...!

والكتاب الذي وصفه ابو حيان بهذا الوصف ــ واظنه لم يطلع على كتاب النحاس ــ كان كثير الاعتماد على كتاب « القطع والائتناف » منهجا وتفصيلا .

وقد صرح « ابن الامام » بالاعتماد على بعض آراء النحاس(١٠٦) .

وتأثره يتضح من ناحيتين ؛ كما يبدو لي :

(١) ناحية المنهج العام .
(٢) ناحية التفاصيل .

(١) اما من ناحية المنهج العام فان تأثره بكتاب النحاس يبدو في التعليلات النحوية التي يعتمد عليها منهج النحاس اعتمادا كبيرا . وهذه الناحية ذات تأثير في كتاب « علم الاهتداء » .

ومن أمثلة ذلك قول « ابن الامام » في الحديث عن الوقف الحسن في سورة الفاتحة : (اما الحسن فهو الذي يحسن الوقف عليه لانه كلام مفيد حسن ، والاحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به لفظا ومعنى ، كقوله عز وجل : « الحمد لله » ؛ فهذا كلام حسن مفيد ، وقوله بعد ذلك : « رب العالمين » غير مستغن عن الاول ؛ الا أن الحسن اذا كان راس آية يجوز : رب العالمين ؛ فانهم اجازوا الابتداء بما بعده ؛ وان يُعلّق بما قبله في اللفظ والمعنى ؛ لحديث ام سلمة(١٠٧) ، ثم يقول : « الرحمن الرحيم » ، ثم يتوقف ، ثم يقول « مالك يوم الدين ») .

وهذا المنهج بسطه النحاس في اول كتابه في الحديث عن الوقف والابتداء في سورة الفاتحة ، مستشهدا بحديث أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ؛ عنه(١٠٨) . بعد الحديث بسط تفسيرا له . ثم تكلم عن « الاتمة » في « سورة الفاتحة » ، فقال : (والقطع على « بسم الله » جائز الا ان الائتناف بما بعده لا ينبغي لانه نعت ، وكذا على « الرحمن » ، والتمام . « بسم الله الرحمن الرحيم » ؛ ولا تقف على « الحمد » لانه مبتدأ لم يأت خبره . والوقف على « الله » جائز الا انه لا ينبغي ان يفعل ذلك ، لان قوله : « رب العالمين الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين » نعت ، وهذا التمام) .

اما الحديث الذي استشهد به « ابن الامام » على القطع عند رؤوس الآيات ؛ فهو الغرض الذي اورد النحاس الحديث من اجله .

(٢) اما من ناحية التفاصيل فان « ابن الامام » اخذ من كتاب النحاس تفاصيل كثيرة لكنه لم يشر اليها . ومن الامثلة عليه قول « ابن الامام » : (ومن الاختلاف في الوقف لاختلاف المعنى ؛ قوله عز وجل : « وما يعلم تأويله الا الله » . هو وقف تام على ان ما بعده مبتدأ وخبر ، والى هذا الوقف ذهب : « نافع ، والكسائي والفراء والاخفش وابن كيسان وابو حاتم ويعقوب وابو اسحاق والطبري . والى معناه ذهب مالك

---

(١٠٤) ترجمته في طبقات القراء ٢/٢٤٥ .
(١٠٥) طبقات القراء ٢/٢٤٥ .
(١٠٦) علم الاهتداء ، (مخطوط) .

(١٠٧ ــ ١٠٨) روى هذا الحديث ، النحاس : (القطع والائتناف ، لوحة : ٥ : ب ، فقال : حدثني محمد بن أيوب بن حبيب قال حدثنا زكريا بن يحيى قال حدثنا اسحاق بن ابراهيم الحنظلي قال : اخبرني يحيى بن سعيد الاموي عن ابن جريج عن ابن مليكة عن ام سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقطع قراءته :
« بسم الله الرحمن الرحيم » / قطع / « الحمد لله رب العالمين » / قطع / ... الخ .
ثم قال بعده : « ومعنى هذا الوقوف على رؤوس الآيات ، وأكثر اواخر الآي في القرآن ، تام ، او كاف ، وأكثر ذلك في السور القصار الآي ، نحو الواقعة والشعراء ، وما اشبههما » .

ابن انس . ومعنى « يقولون آمنا به » : يُسلّمون ويُصدّقون ، في قول ابن عباس وعائشة وابن مسعود رضى الله عنهم . وقال عروة بن الزبير : « الراسخون في العلم لا يعلمون تأويلـــه ، ولكن يقولون : آمنا به كل من عند ربنا » . وعلى هذا اكثر المفسرين)(١٠٩) .

وهذا النص مختصر من نص طويل للنحاس، اوردناه في الحديث عن اثر « القطع » في تفســير ابي المظفــر السمعاني . ومراجعتــه تغني عن ايراده .

---

(١٠٩) علم الاهتداء في الوقف والابتداء (مخطوط) .

المراجع المساعدة

- اعراب القرآن ، لابي جعفر النحــاس (ت ٣٣٨هـ) ، مخطوط مكتبة فاتح باسطنبول ، رقم ٨٨ .
- انباه الرواة على انباه النحاة ، للقفطي (ت ٦٤٦هـ) ، تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم ، ط : دار الكتب ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥م .
- الانساب ، لابي سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني (ت ٥٦٢هـ) ، نشر المستشرق « مرجليوث » ، ط : ليدن ١٩١٢م .
- ايضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل ، لابي بكر : محمد بن القاسم الانباري (ت ٣٢٨هـ) ، تحقيق الدكتــور محيى الدين رمضــان . ط : دمشــق ١٣٩١هـ/١٩٧١م .
- الايضاح في القراءات ، للاندرابي (ت حوالي ٥٠٠هـ) ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات برقم ٩ قراءات .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحــاة ، للسيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق محمد ابي الفضــل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٤م .
- تاريخ بغــداد ، للخطيب البغــدادي (ت ٤٦٣هـ) ، القاهرة ١٩٣١م .
- تذكرة الحفاظ للذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، ط : حيدر آباد الدكن بالهند ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦م .
- ترتيب المدارك ، للقاضــي عياض (ت ٥٤٤هـ) ، ط : بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .
- تفسير ابي المظفر السمعاني ، مخطوط دار الكتب رقم ١٣٦ تفسير .
- طبقــات المفسرين ، للداودي (ت ٩٤٥هـ) ، تحقيق : علي محمد عمر ، ط : القاهرة ١٩٧٢م .
- طبقات القراء (= غاية النهاية في طبقات القــراء) ، للامام : ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) ، تحقيق المستشرق : برجشتر اسر ، ط : القاهرة ١٣٥١هـ .
- علم الاهتــداء في الوقف والابتــداء ، لابن الامام (ت ٧٤٥هـ) ، مخطوط الخزانة الملكية بالمغرب (رقم ١٥٥) .
- الفهرست ، لابن النديم .
- القطع والائتناف ، لابي جعفر النحــاس (ت ٣٣٨هـ) ، مخطوط مصور بدار الكتب (رقم ١٩٦٧٠ ب) .
- معجم الادباء ، لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) .
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار ، للامام الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق : محمد سيد جاد الحق ٩٦٧ ـ ١٩٦٩م .
- المكتفى في الوقــف والابتــدا ، لابي عمــرو الداني (ت ٤٤٤هـ) ، مخطوط مصور بمعهــد المخطــوطات ، (رقم ٩١ قراءات) .
- الوقف على كلا وبلى في القرآن الكريم ، للامام : مكي بن ابي طالب (ت ٤٣٧هـ) ، تحقيق : الاستاذ الدكتــور حسين نصار ، رسالة منشورة في مجلة كلية الشريعــة واللغة ببغداد ، العدد الثالث سنة ٩٦٦ ـ ١٩٦٧م .